رواية
فَتَاةُ البَانْدَا
رواية لن تكتمل...
إدريس خليفة
الطبعة الثانية

إدريس خليفة

فتاة الباندا

رواية قصيرة

طبعة إلكترونية السداسي الأول 2018م - 1439هـ

ردمك : 978-9931-615-55-2

كل الحقوق محفوظة

يمنع إعادة إصدار أو نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أيّة وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي مسبق من الناشر.

للتواصل مع الكاتب

https://www.facebook.com/profile.php?id=100000521561752

من مؤلفاته

- فتاة الباندا

- رحلة قريش (ممنوعة من النشر) رواية إجتماعية تعتبر الجزء الثاني لفتاة الباندا غير أنها تعالج ظاهرة الهجرة غير الشرعية وقد سلطة الضوء على تجاوزات الحكومة وكذا الأسباب التي تجعل من الشباب يفكر في الهجرة من الوطن تاركا خلفه أحلامه وأهله، رواية أغلب أحداثها تعالج نفسية الشباب وشعورهم وأيضا ما يمرون به خلال المجازفة الخطية التي يقدمون على خوضها وسط امواج بحر هائج.

- ساكورة (رواية مبنية على ثلاث نقاط)

- الكاتب أو الفنان ليس إنسانا مقدسا

- بعض الأحلام لا يتوجب علينا تحقيقها والغاية من وجودها هي دفعنا لتقديم أفضل ما نملكه

- المرأة التي تضحي بطموحها من أجل ما يسمى بالحب ستتحول غلى ضحية

الاهداء

إلى الروح الأرجوانية التي تسكن مدن شوقي، الوحيدة التي أعادت الحياة لكياني...

إلى طفلتي التي لم تولد بعد...

إلى صديقي الغامض الذي أهداني قلما حين ضاع مني الإلهاموجعله طوقا حين كنت أغرق في بحر الشك، ياسين بختي منبع الكلمات الغامضة.إلى قراء كلماتي الذين ساندوني حين أفل نجمي ورحت أتخبط في مستنقع حالك الظلام.

إهداء وشكر وإن لم يكن كافيا لكل من كوثر، إيمان ونسرين على دعمهم ومساعدتهم.

وشكر دون حدود لأستاذي الذي طردني ووصفني بالفاشل.

إعتراف

في فترة وجيزة تعلمت أن الوقوع أرضا ليس فشلا بقدر ما هو فرصة من أجل رد النفس لانطلاقة أفضل !

كثيرا ما سيعمد البعض لإحباطك وإفشال إنطلاقتك، وهنا يظهر معدنك ..قدرة تحملك ..وشدة تمسكك بأحلامك وهذا ما يصنع الفارق دوما فبين السقوط والمقاومة قرار حبيس النفس يجب اتخاذه في جزء من الثانية.

تقديم

هي كلمات منبعها ظلمة الليل تتغذى من وجودي، حنين الماضي وروعة الحاضر...

رواية فتاة الباندا تجسد أسمى صفات الإنسان وعلاقاته، الحب ، التضحية والصداقة...

تعيش بطلتنا والت تدعى "إيمان" حياة عادية خالية من الهموم ، حياة هادئة وقصة حب مكتومة، غير أن الأحداث تتسارع لتغير مجرى حياتها وتؤثر على قراراتها.

بينما كان قلمي ينسج مجريات الرواية كنت أرى السعادة بين يدي، ربما اختلطت علي الأمور في كثير من الأحيان وقمت بالخلط بين واقعي وخيالي، أحيانا استعنت بأحلامي وخيالي وكثيرا ما اقتبست من كوابيس تراودني في يقضتي.

القصة واقعية أكثر مما هي خيالية مستوحاة من واقع بطلته فتاة أحلامي لا تنفك تزورني في جل كوابيسي.

في مقهى جانبي، سأحكي لرجل لا أعرفه

عن أشياء كثيرة دفعة واحدة

"إيمان مرسال"

لم نكن على موعد حين التقينا لك الصباح، كان مجرد لقاء بمحض الصدفة، جلست بجانبي بهيأتها الأنثوية، ووجهها المنير برداء البراءة والطيبة، من الواضح أن الايام قد فشلت في العبث بملامحها وكأنها لا تكبر، لم يكن يفصل بيننا شيء غير ذلك الصمت الذي ما لبث أن حرك كل ذرة من جسدي، تكاد دقات قلبي تقتلع قفصي الصدري، الآن فقط أستطيع أن أستأنس برائحة عطرها كما الأيام الخوالي، عطرها الذي صنفته يوما ضمن أسلحة الدمار الشامل المحرمة دوليا، ها أنا أستأنس به ولا يزال فتنة لغريزتي، رؤيتها فقط قد استفزت ذكرياتي التي طمرتها منذ سنوات

خلت وكنت أخالها اندثرت بفعل الزمن تماما كما اندثرت ذكرياتها واختفت يوم الحادث.

عدت إلى الصبى، ها أنا شاب من جديد أقف على رصيف محطة القطار أنتظر الفتاة التي اعشق، عدت مشاغبا أكتب شعرا متناغما مع إيقاع خطواتها، غصت أكثر في الماضي لأستحضر أول لقاء لي معها، يومها مرت بجانبي وكأنها فراشة زهرية تداعب نسمات الهواء بشعرها المتطاير، وربما كنت لأتمادى أكثر في تفاصيل اللقاء لولا تلك الفكرة التي صفعتني وعادت بي إلى واقع أنها لم تعد تعرفني، لقد تركت ماضيها خلفها بحلوه ومره، أودعته درج النسيان وفقدت المفتاح، أصبح حاضرها أغلى ما تملكه وكنت يتيما أعاند شبح

الوحدة، ولم يعد بإمكاني غير تأمل تفاصيل وجهها التي حفظتها غيبا.

كان صباحا ككل صباح نهضت متثاقلا غير آبه بتفاصيل الحياة ولا لباقتها، سرت في شوارع المدينة الكئيبة ومررت بالارصفة القديمة للمحطة، ركبت القطار متجاهلا ما يسرده القدر من حولي فمهما كانت التفاصيل فإنها لا تخصني، شرد ذهني في اللاشيء ولم يكن ليخطر ببالي أنه سيكون صباح ولا ألف صباح، تلك الرائحة أعرفها حق المعرفة، إيقاع الخطوات التي يخلفها ذلك الكعب وتدرجه على السلم الموسيقي كأنه إيقاع مقطوعة كلاسيكيةأحفظها عن ظهر غيب فلطالما نظمت شعرا على ألحانها.

كان قد مر عام على آخر لقاء جمعنا، آخر نظرة لمحتها فيها كانت كغزال جريح تغرق في دماءها وترمقني بنظرات عاتبة، تعاتبني لأني كنت سببا في حادث سيغير مجرى حياتنا، لطالما كنت آوي إلى فراشي متساءلا إن كانت ستلومني إن عرفت أني الخاسر الأكبر في ذلك الحادث الذي أودى بذاكرتها.

صحيح أني نجوت من ذلك الحادث ولم أصب بغير جروح طفيفة فيما فقدت هي ذاكرتها، لكن ما فقدته يفوق الدماء والندوب التي تخلفها الجروح، فقد حياتي بأكملها وفقدتها هي، والآن هاهي واقفة أمامي بعيدة رغم قربها، غائبة رغم حضورها.

مضى ذلك اليوم ولم أفعل شيئا غير ضرب أخماس باسداس ورحت ألوم نفسي على فعل لم أقصده، عنفت نفسي على طيشي ولا يمكن أن ألوم شخصا غيري، حتى أني تماديت حين خاصمت القدر وشتمت الحياة، دون أي أحداث قضيت اليوم جالسا في مكتبي عاجزا عن فعل أي شيء، تمنيت فقط أن يحمل الوقت عجزي وألمي ويرحل بي إلى جحيم خاص بي، جحيم أعذب فيه لوحدي.

كانت سنة طويلة حرمت فيها من كل أشيائي ، فتاتي ورفيقتي، سريري ووسادتي، أنفاسي وأيضا قصيدة العشق التي أنشدتها لها على شرفة منزلها، ذلك السائق اللعين كان كجمركي صادر فرحتي أو شرطي كبل ابتسامتي.

مرت الايام وكنت أجاهد نفسي أسعى لغلهائها باشياء تافهة لعلني أنجح في حرمانها من التفكير في الماضي والغوص في تساؤلات لا إجابة لها، محض فرضيات لا تفيد في تغيير حاضري، كان عقلي يعاندي ولا ينفك يعيد شريط الذكريات كلما سنحت له الفرصة، ذلك الماضي الذي لطالما حسدني عليه أصدقائي، كان الجميع يدعونا بالثنائي المتكامل فقلما ظهر أحدنا دون الآخر فبحكم جوارنا لم نكن نفترق إلى حين يباغتنا الليل ويغتال لقاءنا ومع ذلك كنا نلتقي في مدن الأحلام.

بعد لك السنة التي اختفت فيها أو لنقل سرقت من بين أحضاني، استغل "خالد" فرصة اصابتها ليبعدها عني، عرض على والدتها

اصطحابها إلى الخارج من أجل العلاج وحين سألته عن سبب إقدامه عن هذا أخبرها أنه متيم بابنتها ويريد التقدم لخطبتها، كان "خالد" في ما مضى شخص لئيم منبوذ في الح لكثرة نقله لاخبار، لم يهتم يوما لمظهره وهندامه، اختفى فترة قصيرة ليعود من جديد كأنه شخص جديد، أنيق ببذلاته الكلاسيكية الغالية يوزع أوراقا نقدية على فقراء الحي ويقضي حوائجهم ويسعى بشتى الطرق لمحو الصورة التي رسمها له السكان في أذهانهم، ولأن الفقر كان عنوان المدينة رأى الجميع فيه منقذا ولم يتجرا أي شخص في التساؤل من أين له بهذا المال الذي ظهر فجأة، ربما كنت الوحيد الذي كنت أقف من بعيد ولم ألمح تغييرا فيه صحيح

أنه نجح في خلع ملابسه المتسخة وغيرها بملابس غالية وقد تكون نظرتي هته نابعة من حقد شخصي بعد ان قام بسرقة سعادتي.

سافرت "سارة" وطوال تلك الأيام المضجرة كان عزائي "إيمان" حسناء بوجه مستدير وكأنه بدر مكتمل يشع نورا، امتلكت عيونا تضاهي عيون الغزلان جمالا، تلك القصيرة المتيمة التي تابى مفارقتي، طوال تلك السنة كانت تسمع مني نفس القصة دون أن تعرب عن مللها، كانت فقط تنصت إلي وما إن أفرغ من سردها تنظر إلي بعيون تملؤها الدموع وتخبرني أني عاشق متمرد يأبى النسيان ويهوى عذابه، كانت تحتفظ بسرها وتكتم حبها لي وما كنت لاعرف ذلك لولا ذلك البريق الذي يغشى نظراتها كلما

نظرت إلي، لم تجرأ يوما على الإعتراف تخاف أن أبعدها كما أنها فزعة من العمر الذي يمضي والمحطات التي تتفادى النزول فيها لتبقى إلى جانبي، الوقت لا ينتظر أحد وقريبا ستوقن ان جمالها سيذبل إن قررت انتظاري، ستدرك أن مع كل محطة تتجاوزها برفقتي تقل فرص تحقيقها لأحلامها وتبتعد عن الاستقرار الذي تحلم به، فانا لم أخلق لاكون ذلك الفارس المغوار الذي تترقب حضوره ليطيح بهمومها ارضا ويخلصها من وحدتها، كنت غالبا أنهي حكايتي بوابل من السباب أعرب به عن حقدي على الدنيا، حينها كانت تتأملني، تمتطي ظهر أحزانها، تطقطق أصابعها قلقا وبوجه يشبه

مأتما يوم العيد ترسم ابتسامة مصطنعة كي تتفادى البكاء وترحل.

الآن بعد ان عادت "سارة" إلى المدينة استرجعت جزء مني كان قد غادرني معها، ولأول مرة نمت البارحة كرضيع قرير العين، ولأول مرة لم تزرني الكوابيس وهذا لم يمنع أن أستيقظ على واحد، علت في الحي أصوات زغاريد وموسيقى، أجهل سبب ذلك لكني شعرت أن للأمر علاقة بي، انتفضت من سريري وهرعت إلى النافذة ورحت أتحسس مصدر الصوت، من عساه دق الفرح بابه؟ ما مناسبة الزغاريد؟ وغيرها من التساؤلات التي جالت ببالي في طريقي إلى النافذة، ولم ألبث طويلا لأكتشف أن فراشتي حطت على زهرة

أخرى وكانت النافذة شاهدة على استشهاد حبي الذي سقيته بالدمع منذ طفولتي، فاتني قطار الحياة وعبث القدر بي مرة اخرى، مرت الايام وكنت امر معها كمسافر دون أمتعة لا يعرف حتى الوجهة المقصودة، في تلك المرحلة من الحياة أصبحت الأيام متشابهة، اعتزلت العالم واعتكفت ببيتي، حاولت التمتع بعزلتي قدر المستطاع ونسيت أن خلف الأبواب بكمن عالم يعانق الحياة ويرسم على جدرانها ألواحا جديرة بعيشها، أصبح الصمت رفيقا وفيا يجلس بجانبي يتأمل سقف الغرفة ولا ينصرف إلا حينما تزورني "إيمان"، الحقيقة أن زياراتها تلك كانت تنتشلني من سرداب

الجنون الذي كنت أتعمق فيه كل يوم أكثر بخطوة.

ابتسامتها العبثية التي لم تفارق وجهها يوما انها تتحدى ذاكرتي وتعلن العصيان على أحزاني، أذكر أنها ذات صباح دخلت دون أن تلقي السلام، وقفت بجبروتها تلسعني بنظرات حادة، ألقت برزمة ورق على الطاولة ثم ناولتني قلما، نظرت إليها باسغراب غير مدرك ما تحاول فعله، لم تكن يوما قابلة للانصياع أمام نظراتي، خاطبتني بحزم.

- امض على العقد.

رفعت حاجبي الأيسر متسائلا عن أي عقد تتحدث.

- ستسافر بعد يومين، يكفيك خنوعا، ألا تنظر غلى المرآة أبدا؟ ألم تسأم بعد من دور الضعيف الذي لا يستصيغ هجران عشيقته؟

لم أبالي، فإن كانت تقصد مظهري الذي أضحى لا يختلف عن أولئك المشردين الذي يتخذون من زوايا الحي ملجأ لهم فهذا لا يهمني، ثم ما السبب الذي يجعلني أسافر، ساعة كاملة مضت وهي تحاول اقناعي بشتى الطرق، وفي الأخير ربحت الرهان وأمضيت على عقد العمل الذي حصلت عليه دون أن أقرأ أي بند منه، وحتى كتابة هته الأسطر لا أعلم إن كنت أمضيتها بلامبالات أم لأني منحتها ثقة عمياء.

بمجرد أن وضت القلم جالت أفكار عديد ببالي، سأغادر المدينة التي عشت بها طوال ستة وعشرين سنة مخلفا ورائي جدرانا شهدت على ضحكاتي وعانق كل ركن منها طيش شبابي، مدينة احتوت أحزاني وخطة على دفتر يومياتي أجمل قصيدة عشق، ثم ادركت ان ما حدث في صبيحة ذلك اليوم الهمجي قد أودعني فعلا مستودع الغربة، ولا فرق بين البقاء والمغادرة، لكني إلى غاية تلك اللحظة كنت متمسكا بخيط مهما كان رفيعا من الأمل، ولم أكن مستعدا بعد للإبتعاد عن "سارة"، ثم حدث ان تلاقت نظراتي ونظرات "إيمان" كانت أول مرة نتبادل فيها النظرات لاكثر من ثانية دون أن يستسلم أحدنا ويحدق بمكان آخر،

كانت الحزن باد عليها غير أني أغبى من أن أسألها، لا أعلم إن كنت أستغل براءتها وحبها لي، لطالما اعتبرتها صديقة تحمل في قلبها صندوقا أمينا لأسراري، عاد النبض إلى قلبي حين شعرت بلمسة باردة قطعة حرير من الجنة تنزلق من بين أصابعي، ربما كانت لمسة غير مقصودة، عفوية، احمرت وجنتاها حين أدركت أنها أمسكت بيدي وراحت تضغط عليها بقوة.

في الصباح الموالي كنت في طريقي لشراء تذكرة السفر، كنت تائها في مدينة ترعرعت في أزقتها، لم أدرك أن الحياة استمرت بدوني، ظننتها ستنتظرني، وأدركت أن المدينة رغم كبرها وروعة شوارعها، فتنة نسائها وصخب شبابها

لم تعد قادرة على استيعابي، محطة القطار تلك ستكون شاهدة على نهاية حقبة من الذكريات كان بدايتها على أرصفتها، ركبت الحافلة وكلي أمل في غد أفضل، كعادتي أجلس عند النافذة أمارس شرودي المقدس غير آبه للعالم من حولي، ليقتحم صوتها خلوتي وتزاحم كلماتها الكريات الحمراء في شراييني لتستقر في قلبي مباشرة، نظرت غير مصدق أن من تشاركني المقعد نفسها اللعنة التي أهرب منها.

- عفوا سيدي !! هل اعرفك؟

نظرت إليها في حيرة وتمنيت لو ان إيمان كانت بصحبتي، من المؤكد كانت ستجد لي مخرجا من المأزق الذي انا فيه، نفيت معرفتي وتنكرت

لذكرياتي، أخبرتها أننا الأمر لا يتعدي كوننا جيرانا، افترستني بنظرة جامحة تلخص معنى الغضب، ثن غن الصمت الذي أعقب ذلك السؤال كان كفيلا بتعويض ألف حوار لألف لقاء، في داخلي تساءلت عن مناسبة السؤال، أيعقل أنها استعادت ذاكرتها؟ توقفت الحافلة بعد دقائق، قامت من مكانها وهمت في النزول، لكن لم تكن لترحل ببساطة، نظرت إلي باحتقار وشفقة وأطلقت كلمات أصابتني بشلل تام.

- أنت كاذب، إن كنت ما تدعيه حقا فلماذا تراودني أحلام عنك؟ هل لك أن تخبرني لماذا أملك صور تجمعنا في ذاكرتي التي يفترض أني فقدتها؟.

عجزت عن فعل أي شيء، أردت اللحاق بها لكن قدماي خانتاني، وددت أن أصرخ باسمها لكني لم أجد لي لسانا.

سرت في أرجاء المدينة لا أكاد أقوى على رفع قدماي، أعدت شريط ما حدث وعجزت عن تفسيره، في تلك المرحلة كان العالم يتهاوى أمامي وأدركت أني فقدت كل بصيص أمل كنت أحتفظ به لاسترجاعها، شعرت بالعجز يسري في عروقي وكم احتجت تلك الكلمات التي تخرج من ثغر "إيمان" فقد كانت الوحيدة التي بمقدورها إقناعي أني سأكون بخير إلى درجت أني صرت أفقد هويتي كلما ابتعدت عنها، ثم حدث أن لم تعد "سارة محور تفكيري وإنما تلك الغربة التي أنا نقدم على طرق

أبوابها ، المكان الموحش الذي سأسكنه، من سيواسيني غياب سندي، أم أن للمدينة الجديدة مخطط لي بحيث تحتويني بشوارع دافئة لا أحتاج فيها أي سند؟

في تلك الليلة جلست على شرفتي استنشق اخر أنفاس ذكرياتي التي تجمعني بحبيبتي، لم أدرك السرعة التي مر بها الوقت فقد كان الفجر على الأبواب، كان علي العودة إلى الغرفة والاستعداد لمغادرة المغارة غير أن صوت ما بداخلي كان يحرضني على قرع بابها لتوديعها، بينما المنطق والظروف والوقت يمنعونني، كنت أدرك أنه مهما حصل لحظتها فلا يمكن لخسارتي أن تكون أكبر، رميت حجرا على نافذتها وبينما كار إلى هدفه تمنيت أن

يتوقف الزمن لأمنعه، لقد كان قرارا طائشا وددت لو أني لم أقدم عليه، وما هي غير ثوان قصار مرت كالأيام تساءلت خلالها إن كانت ستخرج وتلبي النداء، وحين فقدت الأمل وبادرت في الإنسحاب أطلت بوجهها الملائكي، سألتني بصوت يكان لا يسمع، تماما كالأيام الخوالي كان حديثها أقل بدرجة من الهمس.

-أنت؟ ماذا تريد؟

- إني مسافر غدا، وقد لا أعود في القريب، أعلم أنك لا تبالين ولست ألومك ولا أنا عاتب عليكن حتى أني لا أعرف لماذا اخبرك بكل هذا.

تأملتني بظرات حائرة تملؤها الدموع، ودون إدراكا مني أضفت:

- صدقيني، ذلك الخاتم الذي يزين يدك ليس سوى حاجز يمنعني عن أخذك بجولة إلى الماضي إنه طوق يكبح حقائق ويمنعها أن تكشف.

دون أن انتظر ي رد منها أدرت لها ظهري وغادرت موقعي، تركتها هناك تتخبط في حيرتها ولا شك أنها طرحت مئات الاسئلة التي لن تجد لها اي إجاية.

حل الصباح وذرفت السماء قطرات دموع دافئة، كنت أمشي في الأزقة لآخر مرةن تاملت الجدران التي سندت ظهري سنين طوال

ورحت أقنع نفسي أنها رحلة مقدسة تخبئ لي مفاجآت على شواطئ النسيانن أملت ان تكون المدينة التي انا متوجه غليها أحن علي بأزقتها وجدرانها، كان قرارا صائيا لابد من اتخاذه عاجلا أم آجلا، اتجهت إلى المحطة سارحا في الماضي أدون على جدرانها أمنيات مستقبل مجهول فإذا بنور ساطع متوجه صوبي، تلك الخطوات أعرف إيقاعها، أتت إيمان لتوديعي وتشد من همتي فهي تدرك مدى رغبتي بالبقاء، لا أذكر أنها تفهت بكلمة ولا أنا كذلك، اكتفينا بتبادل نظرات صامتة مفادها "سأشتاق إليك"، لم يتجرأ أحد منا على كسر حاجز الصمت وما إن بلغنا المحطة رأيتها تنهار، لاول مرة سمحت لدموعها أن تفضح ضعفها فيما

وقفت عاجزا عن مواساتها فلا كلمات ولا جمل قد تخفف عنها، كان الوداع بخيلا لا عناق ولا تقبيل، لطمني القطار على وجهي بصافرته التي تعلن وقت المغادرة، أدرت لها ظهري ككل مرة وغادرت المنصة فيما تسمرة في مكانها تتأملني، لم ألتفت قط ورائي فقد أدرك أني إن فعلت ذلك فلن اتمكن من الصعود إلى القطار،

هكذا انتهى فصل الربيع الذي لم يتح لي الفرصة لأزهر في مدينتي.

لكنني تعبت كثيرا، تعبت حتى بت لا

أرغب في حياتي شيئا ولا أنتظر منها

شيئا

أثير عبد الله النمشي

قد يغفو الإنسان لسببين إما تعبا ليرتاح أو قهرا ليهرب من الواقع، أما أنا فغير كل الناس أغفو من أجل زائرة أحلامي، فالنسبة لي كانت لحظات ألم عجزت أن أعرف إن كان أبديا لا نهاية له أو سرمدا دون بداية ولا نهاية ما يجعل منه ألما ولد معي وسيظل ليشاركني طل تفاصيل حياتي.

في كثير من الأوقات كنت أفتح صناديق الولوج إلى الماضي وأغوص في تفاصيلها، كل تلك الحماقات التي كانت أيامنا مبنية عليها و تلك الوعود المنثورة على قارعة طريق الهجران، وعود قطعنا لكننا لم نعد قادرين على الحفاظ عليها، لعلها ليست بذلك الاختلاف الذي ظننته.

"في فترة ما جردتني الحياة من حلمي وجعلت مني دمية في قارب خشبي يخوض بحرا هائجا، استحوذت تلك الفكرة علي طويلا إلا أني دوما كنت أجد مهربا منها"

دقات القلب تلك التي لا تتوقف عن مناداتها هدأت الليلة، غفوت كطفل رضيع تاه في مدن الأحلام، وبدل أن يركب قطار الامل وجد نفسه يجلس بمحاذاة نافذة مكسورة على كرسي أكل الصدأ نصفه، حينها أدرك أن الأسوء قد حدث، إنه قطار الذكريات، ذلك المنظر كان كفيلا أن يعيد شريط ذكرياتي إلى يوم الحادث، كل زاوية من القطار كل قطعة محطمة وكل شظية، لم أدر إن كان للقطار محطة أم أنه يتجه بي مباشرة إلى الجنون،

إستنشقت هواءه المخضب برائحة الخيبة وتنهدت، كنت أموت بين كل شهيق وزفير، ثم أحيى بين كل زفير وشهيق.

أصداء ضحكاتها تملأ المكان، عانقتني من الخلف، لحظتها كنا جسدا واحدا، خوذة الرأس تلك لم تستطع حبس خصلات شعرها من التطاير واللهو مع نسمات الرياح، انزلقت يداها إلى خصري، وكلما أسرعت أكثر كانت تشدني إليها بقوة أكبر، أحسست لحظتها أنني ملجأها وأمانها، وآمنت أني حاميها، نظرت خلفي لأرى ابتسامتها ودقن وعي مني غرقت في بحر عينيها، عجزت أن أعيد نظري إلى الطريق إلا متأخرا بعد أن لمحت نظرة الرعب

تلك تحتل مقلتيها، كان الوقت قد فات ولم يكن يفصلني عن الشاحنة حينها.

تتطاير الجثث في الحروب وكل جندي ملزم بحماية نفسه، لم أكن جنديا قط، حتى أني متهرب من الخدمة الوطنية، اكتفيت بالنظر إليها وهي في الجو، أدركت حينها أن الخوذة لم تعد موضوعة على رأيها، مرت بجانبي مئات القطع المتطاير بصورة بطيئة وكأن الزمن متوقف، ثم عم الظلام بينما كنت أجاهد أن لا أفقد وعيي، حاولت التمسك بصرخات الناس المحيطين بي حين عجزت عن فتح عيني.

ساد الهدوء في المكان، أذكر أني استيقظت في غرفة بيضاء، لوهلة ظننتني في النعيم، ثم

حدث أن دخلت الممرضة يذلك الوجه البشوش المنير، ابتسمت وكأنها لم تخلق غير لتفعل ذلك، ثم بصوت رقيق يطمئن القلوب الحيارى قالت:

-حمدا لله على سلامتك سيدي.

الله !! ليت كل الممرضات مثلها، بشرتني أني نجوت من الحادث ببعض الإصابات الخفيفة، الغريب أني حين سألتها عن الفتاة التي كانت ترافقني توجست عيناها وكأنها رأت شبحا، سألتها مجددا بنبرة تكاد تكون غاضبة، فأخبرتني أنها في العناية المركزة، حالتها كانت خطيرة وقد لا تنجو، رفض الطبيب أن يسمح

لي برؤيتها ولم أستطع فعل شيء للتسلل بسبب الجبس الموضوع لي.

مرت الأيام وتحول النعيم جحيما، علمت أن سارة استفاقت من غيبوبتها غير أنها فقدت ذاكرتها ولم تعد تتعرف على أي أحد، طلب مني الجميع أن لا أنصدم فيما راح آخرون يقولون أنها صدمة مؤقتة بسبب الحادث غير أن الطبيب قال أنها فقدتها للأبد.

كنت أمضي الليل مرتجفا، تائها بين الخوف والحنين، كان صوت الرعد يفزعني كل مرة، أسرح مع صوت حبات البرد حين تلامس السقف، كنت كسائح غير شرعي أتجول في شوارع مدينة الألم، وحين سمح لي الطبيب

أخيرا بزيارتها رفض والدها السماح لي بالدخول، أراد الجميع تحميلي مسؤولية الحادث وأصروا أن أدفع الثمن باهضا، وكأن ما حدث أسعدني، لا أحد عرف أن عيناها السبب.

ذكريات مؤلمة يجبرني هذا القطار على عيشها مجددا، ليتني لم أغف ليتني فوت القطار ولم أغف، كان طمعا مني أن أقابلها في حلمي، أن نجلس سوية ونرتشف فنجان قهوة على شاطئ الذكريات وعلى وقع أنغام إحدى أغاني فيروز التي كنا ندندن ألحانها سوية من حين إلى آخر لولا ذلك المنبه الذي لطالما وصفته باللعين لما استفقت من كابوس القطار ذلك.

الصدمة

ترمقني تلك العلبة القابعة بجواري على المنضدة، ألتفت إليها بين الحين والآخر ورغبة عارمة تدعوني لأن أنهي حياتي بشريط من الدواء..

أثير عبد الله النمشي

ها هي رحلتي تبدأ نحو مجهول يثير الرعب في نفسي لأول مرة أترك مملكتي التي تربيت فيها، أشعر برغبة في الصراخ فقد كنت كنورس ضائع في الصحراء آخر أمنتياته رؤية يم أزرق.

توقف الزمن وهرول القطار بي إلى زمن حسبته ما قبل التاريخ، رفقا بي يا قدر لم يعد القلب الذي أحمله قادرا على تحمل ألاعيبك، في حقبة كنت أحسب نفسي سعيدا تعرفت عليها، في ليلة عاصفة مرت مترنحة بكعبها العالي، تضرب به الارض لتعزف أجمل مقطوعة موسيقية لم يتم اكتشافها بعد، رغم جوارنا كانت تلك أول مرة أراها بعين أصابتها فتنة أنوثتها، ومازاد لوعتي كان تجاهلها لي، مرت الساعات وأنا أغوص وأغوص بل اغرق

في بحر الذكريات، كان حلوا إلى درجة أن السباحة فيه أضحت مستحيلة.

تنهد القطار تعبا بعدما توقف، كأن ما سردته له أثقل كاهله البالي، وهاأنا ذا أسير وحيدا في مدينة غريبة لا أعلم عنها شيئا سوى أنها ستكون ملاذي.

كل خطوة كنت أخطوها باتجاه قلب المدينة كان الحنين يزداد، لعلي حملت آلاما كثيرة لأتجول بها في مدينة جمعت بين الثقافة والحضارة، ترافقني في جولتي أحلامي الممزقة، نبحث عن خياط يرقعها لنبدأ من جديد.

وقفت متثاقلا عن باب أزرق خشبي كبير ثم دفعت إحدى دفتيه التي كانت مفتوحة، مشيت

عبر دهليز طويل سكنته الرطوبة ينتهي في ساحة على أطرافها غرف، ستكون إحداها ملجئي.

في اليوم الموالي زرت مقر عملي الجديد، لم أكن متحمسا للغاية إذ أنه لا يتعدى مهمة مراقبة الحسابات والتقيق فيها، لم يكن ذلك النوع من الأعمال التي تخلق ديناميكية وحركة، وعليه توالت الأيام دون جديد، أصبت بالإحباط بسبب الروتين الذي أعيشه، حاولت الإستئناس بمذياع قديم غير أنه كثيرا ما كان يخذلني وينام تاركا إياي تائها في متاهات البؤس والوحدة.

في صباح بارد من أيام الشتاء دق بابي، تقاعست في النهوض إذ لم أكن أنتظر أحد فإذا برسالة تنساب تحت الباب، قفزت من مكاني مسرعا دون تردد، أملت أن تكون من "إيمان" وفتحتها فحذر، ورقة ناصعة البياض مكتوبة بخط يستحيل أن يكون خطا أنثوي، بصعوبة بالغة استطعت قراءتها إنها آخر إنذار لدفع إيجار الغرفة.

في عطلة نهاية الأسبوع عزمت على الخروج لأتمشى، كان الجميع يتكلم بصوت يشبه الهمهمات وكانت المدينة تعج برائحة السعادة، لعلي كنت النتن الوحيد الذي لا يزال يحتفظ برائحة الحزن كما كنت الوحيد الذي يمشي وحيدا دون مرافق، فجأة تغيرت ملامح وجهي

وانقشعت الغيوم التي تحجب نور الشمس عن وجهي، أصبحت منهم وشاركتهم الإبتسامة والحلم، أصبحت مثلهم في الشكل واختفت الراوائح النتنة، أخذت أنظر يمينا ويسارا، أبحث عن من يشاركني سعادتي التي أجهل مصدرها، ومن دون سابق إنذار لمحت حسناء سمراء البشرة، ممتلئة الجسم تتابعني بنظراتها وتلقي بسهام ابتسامتها العفوية، نظرت خلفي مخافة أن لا أكون المقصود فضحكت على فعلتي تلك، أسرتني ضحكتها وسرت بخطوات واثقة نحوها، استأذنتها الجلوس بجانبها فأذنت لي، أخبرتني أنها عرفت كوني غريبا إذ أن تمثيلية الالرجل السعيد الذي يوزع ابتساماته في كل صوب لم تلق بي بل حتى أني لم أقترب من

اقناعها أني تخلصت من بؤسي واندمجت بتلك السرعة، ربما كشفتني خطواتي النمعثرة وشرودي المفاجئ من وقت إلى آخر.

مرت الأيام وتعددت لقاءاتنا، أغلب الوقت كنا نلتقي صدفة، صدف من تدبيري، كنت أنتظرها في أماكن أوقن انها تمر بها يوميا، كان حضورها يزيل عن قلبي الأثقال ويلغي الأحزان، خفيفة الدم تجيد القاء الدعابات وتحسن الإنصات، ومثلي كانت وحيدة تحتاج رفقة مثما احتاجها أنا.

سرعان ما اختفت كل آلام وقارب القدر على اتمام تلوين لوحة حياتي، الغريب في الأمر أني في كل مرة كنت أعتزم سؤالها عن اسمها كنت

أنسى السؤال بمجرد النظر في عينيها الزرقاوتان، ولم أكن لأعرف لولا تلك التليلة التي اتصلت لتدعوني للعشاء في بيتها، حينها فقط ذكرت أن اسمها "حياة، كنت لأقول أنها اسم على مسمى لولا درايتي بغدر الحياة وتقلباتها، ليلتها اتجهت إلى عنوانها وصعدت السلالم المضاءة بمصابيح باهتة تتدلى من السقف، توقفت عند باب منزلها في الطابق الثالث وقد كان بابا خشبيا به نافذة زجاجية محمية بشبكة من حديد، طرقت الباب ومع الصمت السائد استطعت سماع خطوات خفيفة تقترب، فتح الباب وافترستني تلك النظرات الخاطفة للقلوب، حينها شعرت بتوهج فرح مكتوم في عينيها، فاجأتني باخباري

أنها اعدت العشاء وما من داع للخروج، كانت الابتسامة تعلو شفتيها وبينما كنا نحظر المائدة لاحظت وجود طبق ثالث، حينها رحت أتساءل لمن الطبق يا ترى، خطر ببالي أنها قد خافت فكرة التواجد مع غريب وحدها فقامت بدعوة شخص ما، جلسنا إلى الطاولة وأنا أتحرق شوقا لمعرفت من سيشاركني تأمل عينيها الناعستين...

لم يدم ترقبي طويلا فسرعان ما أذت تنادي " سارة حان وقت العشاء حبيبتي"

"سارة"؟ لم أسمع هذا الاسم منذ رحيلي، أيعقل أن تكون هي؟ شردت لوهلة واتسعت مقلتاي شوقا بينما اصدك فكي خوفا، حينها

بلغ مسامعي صوت ملائكيا من خلف الجدران، صوت لا يكاد يسمع وكأنه لم يخلق ليخاطب البشر، " حاضر ماما أنا آتية"

ماما؟ أتراها نسيت ذكر الموضوع أم أنها تجاهلته وحسب؟ في تلك اللحظة المقدسة ظهرت الملاك كانت حقا أجمل من أن تنسب للبشر، تأملت زرقة عينيها، هربت من الزمن وسجنت نفسي داخلهما، انتابني شعور غريب لا يمكن للكلمات وصفه فبعض الأحاسيس نعيشها فقط، وجهها ناصع البياض كان كملجئ من حرائق التاريخ يكسوه نمش أحمر، شعرها المحترق إحمرارا تشوبه شعيرات صفراء، في تلك اللحظات أسندت "حياة" رأسها على كفيها وراحت تتأملني وأنا أحدق

بابنتها، لعلها أرادت الحديث غير أن الكلمات كثيرا ما تخون صاحبها.

في تلك الليلة بعد عودتي إلى غرفتي الكئيبة، رمت بجثتي إلى فراشي ورحت أسرح في ما دار بيننا خلال تناول الطعام، كيف لرجل أن يهجر زوجة رقيقة رائعة الجمال وابنة لا تصفها أي كلمات؟ أخبرتني أنه خرج يوما ولم يعد قط، حدث الأمر قبل اربعة اعوام كانت "سارة" حينها في شهرها الخامس.

توالت الأيام وكنت أحقق نجاحا يتلوه نجاح في عملي، كنت أقترب في كل لقاء خطوة من قلب حياة وأبتعد خطوتين عن الماضي، تأملت السقف طول الليل، ذلك السقف الذي أحفظ

تفاصيله عن ظهر قلب، في الصباح حملت نفسي وتوجهت إلى العمل، رحت امشي في زحام المدينة وأتأمل الوجوه، هي نفسها الوجوه التي اراها كل يوم وكأنني اعيش مشهد أعيد تمثيله مرارا وتكرارا... فجأة ظهر وجه جديد، لم يكن حقا جديدا لكنه كان غائبا أو مغيبا.

- إيمان؟ ما الذي أتى بها هنا؟

يا غلهي ذلك الجمال الذي أهملته قطعت مسافة طويلة لتراني، احتظنتني بقوة كادت تخنقني واسترسلت حديثها.

- ألا تسأل أبدا يا غبي؟ أتراك نسيتني؟

أخبرتها أني كنت أخطط لمفاجاتها قريبا حين أحصل على عطلة، لكن كعادتها هاهي تسبقني خطوتين، تاملتني قليلا وثم قالت:

- إذا الن تعرفني على سارقة القلوب التي منعتك من أن تكتب لي حتى رسالة؟

ابتسمت وأخبرتها أنه ما من جميلة تمنعني التفكير في ملاكي الحارس، كانت الكلمات تنسج وتخرج من فمي دون وعي، ربما مشاعر دفينة تمكنت من بسط سيطرتها علي في تلك اللحظة، أخبرنها أني تعرفت على شخص هنا واننا سنقابله مساء، وفعلا كان لنا موعد بعد إتمام عملي، في المكتب مرت الدقائق ببطء شديد، كنت أحدق إلى الأوراق وأضرب بقلمي

سطح المكتب، انصب تفكيري على أول لقاء جمعني ب "إيمان" تلك الجميلة التي استطاعت أن تترك أثرا في أول لقاء، هي التي داوت جراحي الظاهرة منها والباطنة، كانت الممرضة التي اعتنت بي بعد الحادثة وتطورت علاقتنا مع الوقت لنصبح مقربين، خطؤها الوحيد أنها وقعت في المحظور وأحبتني، أحبت رجلا ماسور القلب، لطالما آمنت أنها تستحق إنسانا أفضل مني، الغبية ضحت بكل شيء في سبيل الاعتناء بي، أعرفها منذ سنوات ولا تزال كيانا غامضا لا أعرف عنها غير ما تريدني أن أعرفه.

في المساء جمعتنا طاولة مستديرة وفي انتظار قدوم "حياة" كانت "إيمان" تحدثني عن مفاجأة

غير أني كنت أجهل ما هي، بعد دقائق قليلة ظهرت "حياة" من العدم لأفاجئ انهما تعرفان بعضهما البعض، كان الحديث يدور حول تحسن حالتي وقد كنت غائبا عن الحوار، إلى ان استحضر عقلي لافتة عندما كنت بصدد دخول المدينة الجديدة مكتوب عليها "مستشفى الأمراض العقلية".

انسحبت بهدوء بينما بقي جسدي جالسا على الطاولة، تخبطت كعصفور يرفض دخول القفص، حدث كل ذلك دون ان أحرك ساكنا، فقد كانت كل تلك الصراعات تدور بداخلي، بعدها بدات في تحليل الواقع، تلك المدينة كانت مجرد مستشفى يحرمني حريتي، تلك الوجوه المبتسمة لم تكن سعيدة كما خيل لي

بل كانت وجوه مريضة فاقدة للعقل غائبة عن بشاعة الواقع لا تدري حتى سبب ابتسامها، أما أكبر كذبة قد عشتها خلال تواجدي هنا كانت عملي، عملي الذي خيل لي أني أحرز فيه تقدما ،اني أضحيت رجلا ناجحا لم يكن غير أوراق تحمل لعبة "سودوكو" يعدها الأطباء لي لمعرفة مدى تحسن حالتي.

الإعتراف

ما حاجة الإعتراف بنا..

على اي حال يكون.. سنكون نحن دائما الضحية..

أنا وأنت يا صديقي لا نتعدى كوننا ضحية..

تمددت قليلا إلى الوراء، أسندت ظهري إلى الكرسي، قربت المائدة مني، نظرت إلى كاس العصير الذي لا يزال نصفه الفارغ يزاحم نصفه الآخر على المكان، نظرت إلى السيدتين اللتان كانتا تنظران إلي في ذهول، مددت يدي لتناول الكأس ثم عزفت عن الأمر، الأمر لا يستحق العناء، فكرت قليلا وتوصلت إلى ان اللعبة المتقنة مهما بلغ سوؤها فإنها تجلب الأرباح، ابتسمت دون سبب ووجهت نظري إلى "حياة" ثم سألتها لما لم تجلب معها "سارة" أخبرتني أنها في منزل المربية، هززت رأسي موافقا

- طبعا لما قد تأتي بها غلى مستشفى المجانين؟

حدث ذلك وكنت لا أزال متمسكا بابتسامتي، كان ذلك بمثابة دليل على تحسن حالتي النفسية، ابتسمت "حياة" وكأنها تقول لنفسها نجحت في مساعدة المريض على تجاوز أزمته، كانت ابتسامة نصر، نظرت "إيمان" صوبي وكنت قد فهمت كل الكلام الذي أرادت قوله من نظراتها، وقبل أن تطرح السؤال قاطعت دهشتها وقلت:

- نعم أعلم أني في مصحة عقلية، لقد انجرفت خلف حزني وأعلم أني أذيتك بنفس مقدار أذيتي لنفسي.

كانت ذاكرتي تحاول مصالحتي، مر ببالي ذكريات كنت قد نسيتها وتدفقت إلى رأسي،

تذكت الحقن التي كنت أجبر على أخذها كما تذكرت بكائي الشديد كل ليلة، والأهم من كل هذا تذكرت "سارة" اقتربت من "إيمان" فيما اعتراها الرعب، همست في أذنها:

- أخرجيني من هنا أرجوك.

حينها ابتسمت "حياة" وقالت

- لا تقلق ستخرج الليلة.

كنت أريد الخروج لأعود غلى منزلي، أو بالأحرى لأتمكن من أن أطل من شرفتي لاراها، وبينما كانت السيدتان تتكلمان كنت أنا أراقب رياح الشمال تدفع الغيوم كي لا تمطر الليلة..

حان موعد المغادرة أردت توديع "سارة" لكن لم تتح لي الفرصة، فيما ركبنا القطار كنت أتأمل وجها حزينا لم اعهده، تساءلت إن كانت حقا هي "إيمان" التي أعرفها، أين اختفت تلك الابتسامة؟ أردت سؤالها لكنها كانت ستذهل، فلم يسبق لي أن سالت عن حالها.

زحف القطار لم أعرف كم محطة كنا قد تجاوزنا، لأول مرة لم اعر النافذة أي اهتمام، كنت سارحا في تأمل جمال غدر به الزمن، ورحت أعاتب القدر لأنه رماها على أعتابي، ما كان عليها أن تحبني ولا أن تهتم لأمري، وبين هذا وذاك، بين سؤال وآخر، نظرت إلي وكانت كأول مرة أرى فيها تلك العيون، أحسست حينها أني أقع في الغرام، أدركت كم كنت أناني،

أنبني ضميري وفي غفلة من عقارب الساعة طارت كلمة من هنا وأخرى من هناك، بعدها عم صمت مخيف، هناك حيث تلاقت الكلمتيندار حوار أو بالأحرى تأنيب، قالت كلمتي لما لم تصبري ليلة أخرى؟ وقالت كلمتها لماذا تأخرت كل هذا الوقت؟ كانتا كلمتين أحدثتا أزمة وجب علينا التعايش معها بقية العمر، فما استقر في أذنينا كان غير قابل للنسيان، وما نطق به لسانينا كان غير قابل للتصديق، بادلنا نظرات كئيبة كانت الدموع عنوان لها، أمسكت يدها وعدنا لالتزام الصمت.

كان الوقت يمر ومع كل شبر يتقدم فيه القطار كانت تبتعد عني، لأول مرة أحمل هم التفكير

فيها، ما الذي رأته في، ما الذي يجعلني مميزا لدرجة أن تضيع شبابها وتستحمل ذاك الثقل الكبير من أجلي؟ والآن حين أعرفت لها بعشقي لها.. بحبي.. تصدمني أنها ستتزوج، .

تلك الرائحة أعرفها، اقتربنا كفاية من المدينة، رائحة المحطة تلك لا يمكن نسيانها، وقبل أن يتوقف القطار عن شق المسافات استرسلت قائلة:

- في المدينة تنتظرك مفاجأتين، إحداهما جميلة أما الاخرى فصادمة، لذا أريدك أن تكون قويا كما عهدتك.

لم يهمني الأمر، فلا يمكن أن تكون هناك مفاجأة تصدمني أكثر من صدمتي بخبر

زواجها، ربما نظرت إليها مرة أو مرتين، بينما ظلت هي تحدق بي منتظرة مني المبادرة بالسؤال عما ينتظرني، لكني صببت تفكيري في استرجاع ذكرياتي معها.

مرة أخرى قاطعت سرحاني وقالت لي انها خائفة من أن لا تجد ذاك الأمان الذي لطالما وجدته معي حتى في لحظات جفائي، ليتها فقط تعلم مدى خوفي من فقدانها.

عم الصمت من جديد، هذه المرة كان صمتا رافقه صدى أنفاسي المتقاطعة، كنت أشعر أنني أغرق، حينها أمسكت يدي وشدتها حتى خيل لي أنها ستنتزعها من مكانها، ثم همست في أذني:

- لن أتركك مهما حدث.

توقف القطار وخرجت نحو المجهول، كانت لا تزال تشد يدي بقوة، سرت مطأطئ الرأس باتجاه بيتي الذي كان يبتعد كلما اقتربت منه رغم أنه كان لا يزال في مكانه، وما إن دخلت إليه غادرتني "إيمان" حتى بدأت جدرانه بالثرثرة عن ما حصل في غيابي، أخبرتني الثقوب على زجاج نافذتي أنها كانت تأتي إلى هنا وتنتظرني كل مساء، وأخبرتني الجدران انها كانت كانت تأتي لتشكوها غيابي، أما وسادتي فأخبرتني عن الدموع التي كانت ترتوي بها من عيونها في كل مرة تزور غرفتي.

لا أذكر أني نمت تلك الليلة، أظن أني استرجعت قطعت من حياتي كنت قد تركتها خلفي، أظن أن أرقي سببه اني أتذكر أشياء لابد ان تنسى، راقبت نور الشمس يغازل ستائر نافذتي واستمتعت بغناء العصافير المبتهجة، ابتسمت ببساطة ورحت اغرق في السعادة، كنت أفقد وعيي أذرك ذلك، كيف لا وقد سمعت صوتا تجاهلته أذني واستقر بقلبي، كانت هي "سارة" أسرعت باتجاه النافذة لأراها، لالمحها، أو حتى أشم ريحها، لكن خيل لي اني لم أكن سريعا كفاية وحين بلغت النافذة وأزحت الستائر كنت مدركا أني استغرقت أمدا للوصول وأني لن أجدها، لكنها كانت هناك، بل أنها كانت تنظر مباشرة إلى النافذة وما أن

رأتني راحت تلوح بيدها وكأنها تلقي التحية علي.

- مرحبا بعودتك... ظننتك نسيت أمرنا.

مرت أيام وأنا منعزل في غرفتي لم أتجرأ حتى على زيارة النافذة، أقنعت نفسي ان ما حدث مجرد هراء من نسج مخيلتي المجنونة، بل تماديت حين حاولت اقناع نفسي اني لا أزال في المستشفى، كنت احتاج "إيمان" بشدة، كنت اناجيها في ليلي وأناديها في نهاري، غير أنها كانت تتجاهلني بحجة التحضير لحفل خطوبتها.

أبهذه البساطة تعيدينني إلى جحيم الماضي وترمينينيوحيدا بين فكي الذكريات، أصبحت

أشمئز من نفسي كلما تذكرت مدى ضعفي، يزورني الموت مرتديا عباءته السوداء ويسالني

- أتريد أن اريحك من نقمتك؟

أتأمل عرضه المغري ثم أجيب بحزن

- لست مستعدا بعد، ليس الآن بعد أن اعترفت لها بحبي.

تارة أصرخ بداخلي وأخبر نفسي بأني جبان، وتارة اخرى أبتسم وافسح المجال لدموعي حتى أني أدمنت طعمها المالح الذي يتخلله طعم الغباء.

أحقا ألومها؟ تلك التي فعلت المستحيل وضحت بالغالي والنفيس من أجل إرضائي في

حين كنت أتجاهلها؟ تلك التي اتخذت منها ملجأ لآلامي في وقت كانت أحوج إلى صدر يأويها، لقد كنت السبب في ضياع حلم رسمته معي، حطمت قلبها الضعيف الذي كان يتنفس هوائي، وحين احتاجتني وجدت غيري إلى جانبها.

مازال الليل والنهار يتعاقبان في لعبة ازلية لا معنى لها بالنسبة لي، رن الهاتف، للأسف لم تكن "إيمان" غير أنه كان صوتا أنثويا رقيقا، يتسلل إلى أعماق قلبي بسلاسة وكأنه موطنه الذي يعرف زواياه ويحفظها، كان ذلك الصوت الذي لطالما تمرد وكتب قصائد العشق على جدران قلبي الأجوف، تلك التي غفت على صدري أكثر مما فعلت على وسادتها، تتصل

بي الآن في عز حنيني وشوقي لغيرها لتسالني لقاء كنت في ما مضى أتحرق شوقا له، تلك كانت المفاجأة السارة التي وعدتني بها "إيمان" وكأنها نسجت لي رداء الماضي لالبسه من جديد.

- حدث ان التقينا هنا أليس كذلك؟

كانت تسالني بصوت جعلني أسافر عبر الزمن وأجيبها بصوت مرتجف يكاد لا يسمع

- نعم هنا التقينا أول مرة

تبتسم لتطلق علي رصاصة الرحمة وتقول

- أردت فقط تسليمك هذا الظرف، لم أشأ ارساله حتى لا يكون بيننا همزة وصل فعلى ما

تذكرت لطالما أخبرتني أننا روح واحدة اتخذت من جسدين مسكنا لها.

نظرت طويلا إلى عينيها وتأملت تلك الدموع التي طغت على رغبتها في حجبها لتظهر كم أنها قوية حينها أدركت أنها المفاجأة الصادمة التي أخبرتني عنها "إيمان".

سارت مبتعدة ولم تكلف نفسها عناء النظر إلى الخلف، مهلا لحظة ليس هذا نفسه اللحن الذي لطالما أطربني، ليست نفس الخطوات التي لطالما رقص قلبي على إيقاعها، أيعقل أن تتغير حتى مشيتها؟ أم أنها كبرت ولم تعد تلك الصغيرة التي كانت دوما بحاجتي؟ والآن ماذا عن الظرف يا ترى؟ أيعقل أنه يحتوي كلمات

هي مفتاح جحيم أعلى مستوى من الذي أعيشه الآن؟ أو ربما رسالة عفو سيتم على إثرها ترحيلي إلى مواطن النعيم؟

حين عدت إلى المنزل كنت أحاول جاهدا إيجاد حل للغز الظرف، أصابتني فكرة فتحه بالرعب الشديد، فمجرد التفكير بذلك جعلني اتصبب عرقا، كنت احاول فتحه وبعد عناء أحسست أن ما بداخله أثقل من أن أتمكن من إخراجه بمفردي، ملمسه الخشن جعلني أدرك انها ليست ورقة للكتابة، إنها شيء آخر، وكان كذلك مفتاح أعلى درجات الجحيم، كنت أسحب ما بداخل الظرف ببطء يكاد يكون سكون، قد يستغرقني الأمر ايام لإخراجه على تلك الوتيرة، لكنه في الأخر طهر ويا ليته لم

يفعل، كتابة مزخرفة باللون الأحمر، عبارة منقوشة بدقة متناهية " دعوة حفل زفاف" أرجوك يا قدر اين جلادي؟ أين حبل المشنقة؟ متى يسدل الستار عن المسرحية؟ كانت ثوان انقضت كانه عمر، بعدها لملمت شتاة كينونتي واكتفيت باسناد ظهري إلى سرير لم يتوقف عن إصدار ضجيج كلما تحركت.

مرت الليالي والأيام أذكر أني توقفت عن عدها، أتخبط وسط افكار تأتيني من كل نحو وصوب، لكن السؤال الوحيد الذي لم اجد له إجابة كان:

- من منهما تسكنني؟ كنت تائها في مدينة الضياع كانني في متاهة كل الأزقة فيها

متشابهةن لا وجود لابواب الخروج ولا نوافذ للنجاة، انحصرت الأيام بين أماني لن تتحقق ورجاء لن يأتي.

الميت الحي

الموت لا يعني لنا شيء، يكون فلا نكون...

محمود درويش

لم تعد لقاءاتي ب"سارة" تتيم بالصدفة، بل أنها أصبحت عادة يوميةأ كل صباح أرتشف نفس مرارة اللقاء، تجلس إلى جانبي في الحافلة التي تقلني إلى مكان عملي، لا شيء يخطر ببالي طوال الرحلة غير تأمل ذلك الخاتم الذي يكبح شوقي لكلماتها الدافئة، هو نفس الخاتم الذي يتحول سكينا ليذبح حنيني إلى أيام مضت كانت تجمعنا، كلما نظرت إليه تمنيت أن يرن المنبه ليوقظني من سباتي الذي طال، أتعلمين أن الأحلام تتحول كوابيس في غيابك؟ لكن مهلا لحظة لست الضحية الوحيدة الذي قتلتني باتدائك هذا الخاتم فحتى تلك الرقيقة، الحبيبة التي كانت صديقة، حين اعترفت لها بحبي صدمتني بالحقيقة، قريبا سيزين يدها

خاتما يختلف شكله عن خاتمك لكنه سيقتلني ويذبح كياني ووجداني.

كان مجردد حوار صامت يدور بيم المرء وعقله كل صباح بينما أسرح بنظري عبر نافذة الحافلة، أعد الأيام تمضي بين المحطات ولا جديد يذكر، كنت ميتا حيا يركب الحافلة ليشتم رائحة الماضي، كنت مهووسا بتعذيب نفسي وما كنت أفعله حينها محاولات عبثية لعلي أثير الشفقة في نفس "إيمان" لتعود إلي، وحين تملكني اليأس اكتشفت الشر الذي بداخلي وأصبحنا أصدقاء.

تمضي أيام السعادة وترافقها أيام التعاسة لأبقى سجين الماضي، خسارتي كانت كبيرة،

اكبر من أن تحصى، كنت أصارع من اجل أن لا أفقد عقلي مجددا، تمسكت بوجودي وألغيت كل اقتراح لم أكن فائزا فيه.

في صباح يوم بائس غابت الشمس عن الحضور وتلبدت السماء بالغيوم، استيقظت على دوى أصوات زغاريد، يومها كانت السماء تمطر ألما، اعتصر قلبي وتغرغرت الدموع في عيني، حينها فقط تذكر احدهم طرق باب البيت، بعد عناء طويل وجهد جهيد استطعت الوصول إليه وفتحه.

إيمان؟ مرحبا أيتها الروح الزكية اشتقت إليك، أين كنت؟ بالطبع تلعثم لساني ولم أقدر على قولها، أخبرتني أنها هنا لمرافقتي إلى حفل

الزفاف الخاص ب"سارة" أظن أنها رغم ادعاءها العكس كانت تخاف علي من وقع الصدمة، وحدها من بين سكان الارض عرفت أني ميت حي.

سائق الطاكسي ذاك كان يسرع كأنه يسابق الزمن، كأنه يريد أن يحظر الحفل لمنع "سارة" من الزواج أما أنا فكنت أتطلع إلى البدر الجابس بجواري، كانت أجمل من أي شخصية قرات عنها في الروايات، بيضاء البشرة احتلت وجناها بقعتين حمراوتين، لم تكن يوما في حاجة غلى مساحيق تجميل فقد وهبها الرب جمالا ليس له مثيل، لم نلبث كثيرا حتى وصلنا إلى الحفل، أظن أننا تاخرنا قليلا أو لربما حضرنا في الوقت غير المناسب، تماما في وقت الخواتم،

حينها هرعت جريا بين الحضور لمنعه من وضع الخاتم في يدها، بهت المدعوين وعم صمت رهيب، حتى الموسيقى توقفت، أمسكتها من يدها وسحبتها بقوة، لم تقاومني قط بل ركضت مع خارج صالة الحفل، حدث هذا وأنا لا أزال في مكاني لم أحرك ساكنا، فقط كانت فكرة عبثية دارت بخيالي، أما الواقع أني كنت أمسك يد إيمان وأبتسم، كانت ابتسامة نصر على نفسي، حينها أدركت أني لم اعد مكبلا بين قلبين، أدركت أنها لم تكن يوما من نصيبي وكل ما يتوجب علي فعله الآن هو أن أسعى لإسترداد ما كان لي منذ البداية، كانت واقفة اماي مندهشة من ابتسامتي، تبادلنا النظرات لثوان معدودة، همست لها:

- أحبك ولست مستعدا لخسارتك

بعدها رحلت مباشرة دون أن أنظر خلفي.

سرت وحدي في طريق أرتل لحنا حزينا ودخلت "سارة" القفص الذهبي، و"إيمان" على أعتابه إن لم افعل شيء، تلك السنوات الضائعة تخنقني، قريبا سيرحل الربيع وسأرحل معه، ربما أعود بعودته فقد اكتفيت من الم اعتصر قلبي...

في طريقي مزقت تذاكر كل القطارات التي ركبت فيها من قبل وعزمت أن أمشي، عرفت حينها أن الأبواب الموصدة لا تفتح وأنه حين تنغلق كل الأبواب يظل باب في داخلنا لا ينغلق، ذلك الباب الذي يوصلنا إلى الرحمة الإلهية.

يا زقاق المدينة يا رفيق الجراح ويا أيتها الجراح يا حبيبة القلب تعلمت اليوم أن للفرح طريقا سريا ينفتح حين تواجه يأسك، فوحده اليأس يجعل منا مبدعين يا أصدقاء، صدقوني ...

النهاية

أبدا .. لن تكون النهاية كما نتصورها
فالقدر بارع في صنع المفاجآت

مرت خمس سنوات كاملة وتغير مفهوم الحياة بالنسبة لي، فكم من قلب هوى ما ليس له نصيب فيه، وكم من عاشق أعماه الحب وسار في درب ليس له حظ فيه، كانت قوتي تزداد مع كل ورقة تسقط من شجرة وحيدة في الغابة لم يدر بها غير خالقها، طوال تلك السنوات كنت أمنح نفسي السلام خلف مكتب به أوراق مكدسة لرواية أسميتها "فتاة الباندا" كان الجميع يتساءل عن سبب اختياري لهذا العنوان، لم أجبهم يوما بل كنت أكتفي بابتسامة أنسحب بعدها من الحديث.

هطل المطر بغزارة تلك الليلة، كانت تخاف النوم وحيدة، نادتني "صوفيا"

- بابا بابا... أيمكن أن انام معكما؟ ابتسمت إيمان وهزت رأسها بالإيجاب، وحين أويت إلى الغرفة متأخرا كانت "صوفيا قد ركبت قطار الأحلام وسافرت من عالم الأحزان، نظرت إليها وتأملت عنقها الجميل وما كان يزيده جمالا تلك الوحمة التي تشبه رأس حيوان "الباندا" إلى حد كبير، نظرت إلى ملاكي الجميل النائم "إيمان" وشعرت أن الحياة أنصفتني أخيرا، وأنا اليوم أملك كنزا متمثلا في سيدتين يتمناه أي رجل في العالم....

يتبع (رحلة قريش)